بشر بن أبي بكار البلوي

الدكتور
محسن غياض
قسم اللغة العربية

انتشرت العربية انتشار الفاتحين المبشرين من أهلها فكانت لغة دين وحضارة اينما وصل العرب وحيثما انتشرت كلمة الله الحقة وتطورت العربية واساليب التعبير بها بتطور حياة المتكلمين بها وظفرت بعدد من شوامخ الكتاب اصحاب الاساليب المتميزة أكثر مما ظفرت به أية لغة أخرى .

وكان اتقان الكتابة وتجويدها وسيلة هامة من وسائل الوصول الى مناصب الكتابة والوزارة وخدمة السلطان والاتصال به وكان الطامحون الى الشهرة والجاه والغنى من كتاب الاقاليم حراصاً على زيارة بغداد والتماس الوسيلة للاقامة بها . ولم تكن البراعة فى الكتابة والتجويد فى اساليبها مقتصرة على كتاب بغداد وحدها . وانما كان هؤلاء البارعون المجددون فى كل مدينة اسلامية وفى كل اقليم من اقاليم الدولة . ولكن بغداد حجبت عنهم ما اغرقته على زملائهم من شهرة ومال وجاه . وبأدباء بغداد وعلمائها كان اهتمام المؤرخين واصحاب السير والتراجم اما ادباء الاقاليم الاخر فقد لفهم النسيان وأمات ذكرهم الاهمال . ولعل اليمن أكثر هذه الاقاليم حظاً من ذلك ولا سيما تاريخها الادبي والسياسى فى العصر العباسى الاول . والكتب القليلة التى تحدثت عن اليمن مرت بهذه الفترة مروراً سريعا لا غناء فيه على حين افاضت فى ذكر دولها وحضارتها قبل الاسلام واحداثها وملوكها بعد الفترة العباسية .

وقلة هم أدباء اليمن الذين ترجمت لهم كتبنا الادبيـة والتاريخيـة المعروفة • ومعظمهم ممن اتصلوا ببغداد وخلفائها ومجالسها •

وكثرة هم الذين اعرضت عنهم هذه الكتب لاعراضهم عن عاصـمة الخلافة العباسية وبريق الشهرة فيها •

ولازالت مصادرنا عن اليمن وحياتها الادبية قليلة نادرة ولازال قسم كبير مما كتبه ابناؤها عنها مخطوطا ، لم ير النور بعد •

وبشر البلوي مثال فريد للكتاب العباقرة الذين أوتوا حظا موفورا من البراعة والتفنن والمقدرة الكتابية وأخملهم بعدهم عن العاصمة العباسية ورواة الادب والاخبار فيها •

وقد بحثت في جميع كتب الادب والتاريخ عن بشر البلوي فلم أجد اشارة واحدة اليه والى فنه الكتابي الجميل • وأقدم المصادر التي ذكرته وتفردت بالاشارة لـه • كتاب (صفة جزيرة العرب) للهمداني[1] وهـو كتاب جغرافي لا يحظى كثيرا باهتمام الادباء وطلاب الادب •

وقد كتب هذا الكتاب مؤرخ وجغرافي عظيم من أهل اليمن وهـو عندي ثقة فيما كتب عن اليمن وعن بشر البلوي •

ثم لم يشر أحد الى بشر بعد ذلك حتى كانت فاتحة القرن العشرين وألف المرحوم الشيخ حمزة فتح الله كتابه الموسوم بالمواهب الفتحية وذكر فيه لبشر مجموعة رسائل نقلها من صفة جزيرة العرب • وفعل مثل فعله المرحوم الشيخ احمد مفتاح في كتابه (مفتاح الافكار) وعن هذين الكتابين نقل المرحوم الاستاذ احمد زكي صفوت ما أثبته من رسائل لبشر في كتابه

---

(١) هو الحسن بن أحمد الهمداني المعروف بابن الحائك مؤرخ شـاعر نسابة توفي سنة ٣٣٤ وله كتاب الاكليل في عشرة اجزاء وصفة جزيرة العرب وسرائر الحكمة •

(جمهرة رسائل العرب) ولم ير كتاب صفة جزيرة العرب ولم يشر اليه • ولكنه عثر على بعض الرسائل فى كتاب (اختيار المنظوم والمنثور) لابن طيفور منسوبة لمطرف بن ابي مطرف •

ولم يعثر أحد من هؤلاء جميعا على ترجمة لبشر أو اشارة لفنه الكتابي غير الاسطر القليلة التي كتبها الهمداني فى التعريف به • اذ ذكره بين ادباء صنعاء بقوله (وكان بشر بن ابي كِبَار البلوي من أبلغ الناس وكانت بلاغته تتهادى فى البلاد وكان له فيها مأخذ لم يسبقه اليه أحد ولم يلحقه فيه ويُتعجب من بلاغته ونفاستها وانه فيها أوحد وانه لا يشابه بلاغته البلغاء • وانه منفرد بحسن اختلاس القرآن الكريم)[٢] •

هذا كل ما ذكر عن بشر وليس فيه ما يوضح سيرته أو يلقي الضوء عليها • غير كونه بلوياً من صنعاء وبَلِيٌّ قبيلة من قضاعة وقد ذكر الهمداني منازلها فى بلاد اليمن وأشار أبو العباس القلقشندي الى انتشارها بصعيد مصر[٣] • وهم ولد بَلِي بن عمرو بن الحاف بن قضاعة • وقد قال شاعرهم المثلم بن فرط البلوي[٤] •

ألم تر أن الحي كانوا بغبطة ... بمأرب اذ كانوا يحلونها معا
بلي وبهراء وخولان اخوة ... لعمر بن حاف فرع من قد تفرعا

وقد قلنا اننا لا نعلم شيئا كثيرا عن سيرة بشر هذا وكل الذى نستطيع استنتاجه أو ترجيحه من رسائله انه عاش فى العصر العباسي الاول وعاصر الخلفاء العباسيين من المنصور الى الرشيد وانه لم يكن رجلاً من عامة الناس واغمارهم وانما كان فى بلده صاحب خطر ونفوذ وعصبية قوية تحميه وتؤيده ومن أدلة ذلك عندنا :

---

(٢) صفة جزيرة العرب ٥٨ •
(٣) صفة جزيرة العرب ١٣٠ـ١٣١ ونهاية الأرب ١٨٠ والأنساب ٢/٣٢٣
(٤) منتخبات فى أخبار اليمن ٩ •

١ – ان أحد الولاة وهو ابراهيم بن عبدالله الحجبي[٥] أراد أن يوليه عملاً واستشار في ذلك هشام بن يوسف الانباري عالم صنعاء وفقيهها[٦] فنهاه عن ذلك • وقد شتم بشر هشام بن يوسف هذا وسخر به في قوله (فاسأل الذي جعل لكل نبي عدواً من المجرمين أن يكفيني شره ويصرف عني كيده فانه يراني هو وقبيله من حيث لا أراهم والسلام)[٧] •

٢ – وقد طلب اليه ذلك الوالي عدم التعرض لوزراء العراق أو الاتصال بهم • فأراه من نفسه غلظة بالغة وزجره وسخر به ورأى ان الوالي يبيح لنفسه الاتصال برجال الدولة ومسامرتهم ومنادمتهم ويحرم عليه ذلك (وان لم يكن الأمر على ذلك وكان لكل امريء منا ما اكتسب من الاثم فأنت الذي تولى كبره منهم وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه والسلام)[٨] •

٣ – انه كان يكثر من هجاء عبدالله بن مصعب الزبيري وشتمه والزراية به وقد كان عبدالله هذا والياً للرشيد على صنعاء[٩] •

٤ – لم يتحرج بشر من شتم يزيد بن منصور الحميري والي اليمن وخال الخليفة المهدي وشتم رسوله النعمان الهمداني ولم يخف من رفض ما أرادوه عليه من فرض الفرات بن سالم وهي ضريبة رأى بشر انها بدعة

---

(٥) تولى اليمن للرشيد سنة ١٨٢ ولقب بالحجبي لنسبه في بني عبدالدار القرشيين الذين لهم حجابة الكعبة المشرفة •

(٦) مختصر أنباء اليمن ٣٧ وصفة جزيرة العرب ٥٦ •

(٧) صفة جزيرة العرب ٥٩ • اقتبس من قوله تعالى (وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الأنس والجن) الأنعام ١١٢ و (إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم) الأعراف ٢٧ •

(٨) المصدر السابق ٦٣ • اقتبس من قوله تعالى (لكل امريء منهم ما اكتسب من الاثم والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم) النور ١١ •

(٩) أبو بكر عبدالله بن مصعب الزبيري شاعر فصيح خطيب تولى صنعاء للرشيد سنة ١٨٠ ولقب بعائد الكلب لابيات من شعره (الاغاني ٣١٩/٢٣) •

لم ينص عليهـــا كتاب الله ولا حـــق للحكومة فى استحصالها من الناس. (فرأيت أن لا أنقض ما جاء به محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم لما قدم به النعمان لعنه الله وغضب عليه وعلمت أن من يزغ منا من أمر الله يذقـه من عذاب السعير فليقض الامير حفظه الله ما كان قاضياً ثم ليعجل ذلك ولا ينظرني فوالله ان العافية لفي عقابه وان العقاب لفي عافيته وان الموت لخير من الحياة معه)[١٠] .

وهي كما ترى جرأة نادرة فى تحدي السلطان والوقوف فى وجهه اذا أمر بالباطل وجار عن الصواب .

ومثال آخر لهذه الجرأة النادرة فى مخاطبة المسؤولين والتي تصل احيانا درجة المجازفة الفدائية المستميتة ما كتبه الى الامير علي بن سليمان العباسي اثناء ولايته على اليمن :

(فاسأل الله عزوجل الذى جعل جاهتك من بليتي وحسن منزلتك من مصابي وطول حياتك فتنة لعيالي ان ينقلك الى جنته قبل أن يرتد اليك طرفك والسلام)[١١] .

٦ ـ وقد كان بشر يراسل يحيي بن خالد البرمكي كبـير وزراء العباسيين وصاحب دولتهم ويزكي له الولاة ويشير عليه بتمديد ولايتهـم على اليمن . وابقائهم على مناصبهم . ومن ذلك ما كتبه اليه فى الثناء على

---

(١٠) صفة جزيرة العرب ٥٩ تولى يزيد بن منصور اليمن سنة ١٥٤ بقية خلافة المنصور وأول خلافة المهدي (بهجة الزمن ٢٠) وقد اقتبس من قوله تعالى آيتين هما (ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عـذاب السعير) سـبأ ١٢
و (فاقض ما أنت قاض) طه ٧٢ .

(١١) صفة جزيرة العـرب ٦٤ وتولى علي بن سـليمان اليمن عن المهدي سنة ١٦٢ . اقتبس من قوله تعالى (قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك) النمل ٤٠ .

الحجبي وحسن سيرته فى اليمن وأهلها (وأعلمهم ان امير المؤمنين لم يأمره ولا من قبله من ولاة اليمن وغيرها الا بالعدل والاحسان ..... وقد أحكم السياسة وترسخ فى التدبير فأشد الناس خوفا لغضبه أرجأهم جميعا لثوبته • وأقلهم أماناً لعقوبته أطولهم لزوما لمجالسته • قد شغل كلاً بنفسه فأقبل على شأنه فليس أحد يجاوز حده ولا يعدو قدره)[١٢] •

ولعلك رأيت فى هذه القطعة مقدار براعته فى المديح وتفننه به كما رأيت فى القطع السابقة براعته فى الهجاء وتفوقه فيه •

٧ ـ فاذا تأخر يحيى البرمكي عن الرد على رسائله نبهه الى ذلك مؤنبا ومقرعا ولم يتحرج من السخرية منه والاستهزاء به (أما بعد فاني كتبت اليك كتباً لم أر بشيء منها جوابا ولست ـ أمتع الله بك ـ أتكبر عن عن مواترة الكتب اليك ولا استنكف على تركك الكتابة الي لأن مثلك لا يكتب الى ضعيف مثلي الا بعون الله وتأييده ولا يلقى الحكمة الى كُتّابه الا بتوفيق الله عزوجل واحسانه ولعلك ـ أمتع الله بك ـ لم يوافق نزول ذلك من ربك)[١٣] •

فاذا صح ان بشراً كان من كتاب يحيى البرمكي فى اليمن • حقيقة لا مجازاً ، كما تشير الرسالة • فهي جرأة نادرة فى مخاطبة المرؤوسين لرؤسائهم دون خوف من عقوبة ودون تملق أو رياء • ورجل كهذا لايمكن أن يكون من عامة الناس واغمارهم ولو كان كذلك لما سكت عنه كل هؤلاء الوزراء والولاة الذين شتمهم وسخر بهم وفيهم مثل يحيى بن خالد ويزيد بن منصور وعلي بن سليمان • ولما فكر أحدهم فى توليته عملاً وفى التشفع به عند يحيى بن خالد ولما اضطر صهر المنصور وخال المهدى

---

(١٢) صفة جزيرة العرب ٦٣ •
(١٣) صفة جزيرة العرب ٦٤ •

الى مكاتبته وارسال الرسل اليه لاقناعه بدفع ما فرضه الفرات بن سالم من ضريبة على أهل اليمن •

ولعل ذلك كان لقوة قبيلته وسعة الرقعة التي تسكنها فى بلاد اليمن وقد كان الرجل فى بيت الشرف والرئاسة منها • فضلا عن مكانته العلمية والادبية بين مواطنيه • وأنا أعتقد انه كان من فقهاء اليمن وعلماء الدين بها يدل على ذلك سعة علمه بالقرآن ورفضه العمل بما يخالفه وصداقته الوطيدة بالامام الشافعي حتى ان الشافعي ليسأله عن عبدالله بن مصعب على ما يربطه به من النسب القرشي والصداقة القديمة ومع ما كان للزبيدي من فضل فى توجيه الشافعي نحو دراسة الفقه والايصاء به عند الامام مالك أول دراسته عليه(١٤) • وبشر أحد القلة النـــادرة من اصحاب الاساليب المتميزة فى العربية • وقد أكد الهمداني فى أكثر من موضع من النص الذى وصفه به والذى ذكرناه سابقا ، أكد تفرده باسلوبه الكتابي فقال : (وكان له فيـه مأخذ لم يسبقه اليه أحد ولم يلحقه فيه) وقال : (انه فيه أوحد وانـــه لا يشابه بلاغته البلغاء) وقال : (وانه منفـــرد بحسن اختلاس القرآن الكريم)(١٥) • وهو فى هذه الجمل كلها يؤكد حقيقة واحدة هي ابتكار البلوي لاسلوب من أساليب الكتابة العربية وتفرده به • وهو أسلوب مرسل متين فصيح لا التواء فيه ولا غموض وأعظم ما يميز هذا الاسلوب ويفتـن الناس به ويجعله فريدا بين أساليب العربية • مقدرة بشر الخارقة فى الاخذ من القرآن بحيث تأتي الآية الكريمة وقد أخذت مكانها بين جمل الرسالة حتى أصبحت جزءاً منها وربما يمر الذى لا علم له بالقرآن بتلك الآيات فيتوهمها من كلام بشر وجميل انشائه • وهذا يدل على حسن حفظ بشر للقرآن وادمان مدارسته واطالة صحبته كما يدل على ذكاء نادر وخاطـــر

---

(١٤) معجم الادباء ٣٦٨/٦ •
(١٥) صفة جزيرة العرب ٥٨ •

متوقد يسعفه متى شاء بالآية المناسبة للمعنى الذى يريد فيضعها موضعها الملائم لها من الرسالة • وأثر القرآن فى اسلوب بشر واضح جلي متانة وفصاحة وحسن سبك • واليك هذه الرسالة الرائعة التي كتبها للامام الشافعي فى وصف عبدالله بن مصعب الزبيري :

(أما بعد • فانك تسألني عن عبدالله بن مصعب كأنك هممت به اذ سرك القدوم عليه فلا تفعل ـ يرحمك الله ـ فان الطمع بما عنده لا يخطر على القلب الا من سوءالتوكل على الله عزوجل • وان رجاء ما فى يده لا يكون الا بعد اليأس من روح الله • لانه يرى الاقتار الذى نهى الله عنه هو الاسراف الذى يعذب الله عليه • وان الصدقة منسوخة وان الضيافة مرفوعة وان ايثار المرء على نفسه عند الخصاصة(*) • احدى الكبائر الموجبة الهلكة وكأن لم يسمع بالمعروف الا فى الجاهلية الاولى الذين قطع الله دابرهم ونهى المسلمين عن اتباع آثارهم وكأن الرجفة لم تصب أهل مدين عنده الا لسخاء كان فيهم ولم يهلك الريح العقيم عاداً الا لتوسع ذكر منهم وهو يخاف العقاب على الانفاق ويرجو الثواب على الاقتار ويعد نفسه الفقر ويأمرها بالبخل خيفة أن ينزل به بعض قوارع الظالمين ويصيبه ما أصاب القوم المجرمين فأقم ـ يرحمك الله ـ على مكانتك واصطبر على عسرتك وتربص به الدوائر عسى الله أن يبدلنا واياك خيراً منه زكاة وأقرب رحماً والسلام)(١٦) •

(*) اقتبس فى هذه الرسالة من الآيات الكريمة (ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة) الحشر ٩ •
(فكذبوه فأخذتهم الرجفة فاصبحوا فى دارهم جاثمين) العنكبوت ٣٧ • (وفى عاد اذ أرسلنا عليهم الريح العقيم) الذاريات ٤١ •

(١٦) صفة جزيرة العرب ٦٠ •
اقتبس من قوله تعالى (فأردنا أن يبدلهما ربهما خيراً منه زكاة وأقرب رحما) الكهف ٨١ •

ولعلك لاحظت مهارته فى اختلاس بعض آيات القـــرآن وترصيع رسالته بها • مع الميل الى الاكثار من الجمل الاعتراضية التي يستخدمهـا للدعاء أو الترحم أو الاحتراس كمثل قوله[١٧] :

١ ـ ولسنا نراه ـ بحمد الله ـ يزداد كل يوم الا شدة •

٢ ـ ولست ـ امتع الله بك ـ أتكبر عن مواترة الكتب اليك •

٣ ـ أما بعد فانه قدم عليّ كتاب من الامير ـ حفظه الله ـ مع رسـوله نعمان الهمداني •

٤ ـ ونظرت فى الرسالتين وقست بين الرسولين ـ لغير تحير عرض ولا لشبهة بحمد الله دخلت ـ فرأيت أن لا أنقض ما جاء به محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم •

وهو حريص ايضا على استخدام المترادفات فى التعبير عن المعنى الذى يريد وقد ذكر فى رسالته السابقة من الكلمات الدالة على الكرم : الايثـار والمعروف والسخاء والتوسع والضيافة والانفاق •

والمزاوجة الجميلة البارعة بين الجمل ميزة أخرى من ميزات أسلوبه وخصائصه الفنية ومن ذلك قوله (وان فى ايمانك لضعفاً وان فى نفسك لوهناً وان فى صدرك لكبـــراً وان فى قلبـــك لقساوة وان فى معيشتك لاسرافاً)[١٨] •

وقوله (فاذا الحاجب يزلقني ببصره واذا الكاتب يسلقني بلسانه واذا الخادم يعرض عني بجانبـه واذا الوالي ينظرني نظـــر المغشي عليـه من الموت)[١٩] •

---

(١٧) صفة جزيرة العرب ٥٩ ، ٦٣ ، ٦٤ •

(١٨) صفة جزيرة العرب ٦٤ • اقتبس قوله تعالى (ثم قست قلوبكم بعد ذلك فهي كالحجارة) البقرة ٧٤ •

(١٩) المصدر السابق ٥٩ • اقتبس قوله تعـــالى (وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم) القلم ٥١ •

وقوله (فكل لك ـ بحمد الله تعـــالى ونعمه ـ على أفضل سرورك وأعظـــم رجائك ومنتهى أملك من سكون الدهماء وأمان السذبل وحسن الحال وتتابع الامطار)[٢٠] .

وبشر بعد هذا كله ليس من اصحاب التزويق والزخارف اللفظيـة ولكنك لا تعدم أن تجد مثل ذلك فى رسائله . وهو فيه مقتصد غير مسرف. اذ أنك تقرأ الرسالة الطويلة له فلا تحس من صاحبها ميلا الى الزخارف اللفظية واصطناعها فاذا وقعت على شيء من ذلك فانك لا تحس بثقـــله أو التكلف فى ايراده وانما يتبادر الى ذهنك ان ذلك جاء عفو الخاطر دون تعمل أو اطالة نظر ، ومن أمثلة هذه الزخارف فى رسائله الطبـــاق بين عداوته وصداقته وأخف وثقل فى قوله : (ومنهم من حمل عداوته أخف من ثقل صداقته)[٢١] . والطباق بين يخاف ويرجو والعقاب والثـــواب والانفاق والاقتار فى قوله : (يخاف العقاب على الانفاق ويرجو الثواب على الاقتار)[٢٢] . وكذلك الطباق بين نفرق وجمع ، ونهدم ونبني ونوالي ونعادي فى قوله (يأمرنا) ان نفرق ما جمع الفرات وان نهدم ما بنى وان نوالي من عادى وأن نعادي من والى)[٢٣] والهجاء الساخر اللاذع هـــو الموضوع الغالب على رسائله . وقد بلغ فيه حداً من الاجادة والتفنن لم يبلغه كاتب عربي آخر . وانا أزعم ان الجاحظ كان تلميذاً نجيباً لبشر هذا وانه قرأ رسائله واحتذاها وتأثر بها فميزات أسلوب الرجلين واحدة فى الترسل والسخرية والاهتمام بالمزاوجة والجمل الاعتراضية وقلة العناية بالزخارف اللفظية واصطناعها .

---

(٢٠) صفة جزيرة العرب ٦٢ .
(٢١) المصدر السابق ٦٠ .
(٢٢) صفة جزيرة العرب ٦٠ .
(٢٣) المصدر السابق ٥٩ .

وان كان الجاحظ لا يحسن الاخذ من القرآن كما يحسنه بشر • وأنا أعتقد ان الجاحظ فيما كتبه من هجاء وسخرية فى رسالة التربيع والتدوير وفى البخلاء انما كان يستلهم رسائل بشر هذه ويتأثرها • ومن أمثلة الهجاء الساخر التي نجد عند الجاحظ ما يشبهها قوله فى عبدالله بن مصعب (ان الله خلق أبا بكر ليغم الدنيا ويقذر به أهلها • فهو على قذره فيها من حجج الله على أهلها • فأسأل الذى فتن الارض بحياته رغم أهلها ببقائه أن يديل بطنها من ظهرها والسلام)[٢٤] •

ويبدو ان ابتعاد بشر عن حاضرة الخلافة العباسية ولهجه بشتم وزرائها وولاتها كان من العوامل المهمة فى ضياع القسم الاعظم من رسائله اذ ليس بين أيدينا منها غير احدى عشرة رسالة ذكرها الهمداني كمثال على فضل كاتبها وبلاغته ووهم فى عددها فتصورها عشراً فقال (أثبتنا منها عشر رسائل ليستدل بها على ما وراءها وأقل الأثر دليل على قدر المؤثر[٢٥] •

وبهذا الاثر القليل كان فضل الهمداني على العربية وأهلها كبيراً اذ حفظ لنا أمثلة رائعة لفن كتابي متفرد ابتكره رجل عظيم من مواطنيه اليمانيين • وقد ذكرت احدى هذه الرسائل دون عزو فى كتاب المحاسن والاضداد المنسوب للجاحظ[٢٦] •

وذكر ابن طيفور فى (اختيار المنظوم والمنثور) عشر رسائل ونسبها لمطرف بن ابي مطرف • ولا ندري من مطرف هذا وليس بين أيدينا مايعرف به غير قول ابن النديم (ومطرف بن ابي مطرف الليثي أحد البلغاء)[٢٧]

---

(٢٤) صفة جزيرة العرب ٦٠ •
(٢٥) صفة جزيرة العرب ٥٨ •
(٢٦) المحاسن والاضداد ٦١ •
(٢٧) الفهرست ١٨٢ •

وعندى ان هذا خلط وخطأ من ابن طيفور رحمه الله • وكل ما نسبه من رسائل لمطرف انما هو لبشر البلوى • ودليلنا على ذلك :

أ ـ ان الهمدانى ذكر أربعا من هذه الرسائل منسوبة لبشر • والهمداني رجل من أهل اليمن وهو فيما يذكره عن اليمن وادبائها أوثق من ابن طيفور وأعلم وأكثر دقة •

ب ـ ان الرسائل الست التى تفرد ابن طيفور بروايتها ونسبتها لمطرف ولم يذكرها الهمداني تضمل سمات اسلوب بشر البلوى وخصائصه الفنية فى الترسل والاختلاس من القرآن وكثرة المزاوجة والجمل الاعتراضية • وهى كلها فى هجاء عبدالله بن مصعب ردا على من سأل عنه • وليس من المعقول ان يكتب الرجلان باسلوب واحد وان يحسن مطرف ما يحسنه بشر من الاختلاس من القرآن وهو ما نص الهمداني على تفرد بشر به تفردا (لم يسبقه اليه أحد ولم يلحقه فيه)[٢٨] •

وليس من المعقول ايضا ان يتفق الرجلان على عداء عبدالله بن مصعب والحرص على شتمه والسخرية به • وان لا يأتى شتمهما هذا الا جوابا لمن سأل عنه وكأنما اتفق الناس الا يكتبوا فى السؤال عن عبدالله لغير هذين الرجلين فلا يكون جوابهما عن ذلك غير شتم الرجل والسخرية به • واذ صح ان يوجه الامام الشافعى مثل هذا السؤال لبشر البلوى لما يربط بينهما من الصداقة أولا ولمعرفة بشر بعبدالله واتصاله به اثناء ولايته على اليمن ثانيا واذا صح ان يكون جواب البلوى شتما للزبيرى وقدحا به كعادته فى شتم الوزراء والولاة • فكيف يصح ذلك كله لرجل آخر غيره •

ج ـ اما دليلنا الآخر على ان كل ما نسب لمطرف من رسائل انما هو لبشر البلوى • فوجود عبارات واحدة حرفية وردت فى رسائل صحيحة

---

(٢٨) صفة جزيرة العرب ٥٨ •

النسبة لبشر وقد ذكرها الهمدانى كما وردت فى الرسائل الاخر التى نسبها ابن طيفور لمطرف ومن ذلك قوله (فما أدرى أيها الرجل من استخلفت على أهلك • أم بمن ثنق فى حال غربتك • أم على من تتكل فى هول سفرك • أبالله ام عليه ؟ وكيف ؟ ولست أخشى عليك الا من قبله) فقد ذكر الهمداني فى هذه الاسطر فى رسالة بشر لبشار بن رضابه[٢٩] وذكرها ابن طيفور فى رسالة منسوبة لمطرف فى عبدالله بن مصعب[٣٠] ومن ذلك قول بشر للشافعى (فأقم يرحمك الله على مكانتك واصطبر على عسرتك) [٣١] وقد تكررت هذه الجملة فى رسالة أخرى لبشر وهو عند ابن طيفور لمطرف (بل أقمت على مكانتى واصطبرت على عسرتى)[٣٢]

ومن ذلك قول بشر فى أحدى رسائله للحجبي (واذا الوالى ينظرنى نظر المغشى عليه من الموت)[٣٣] وقد جاءت هذه الآية الكريمة فى رسالة ينسبها ابن طيفور لمطرف فى هجاء عبدالله بن مصعب (ولو لبث أربعين سنة لم يفهم اولاها ولم يعرف اخراها الا نظر المغشي عليه من الموت)[٣٤]

ومن غير المعقول ان يقع التشابه فى اسلوب الرجلين فى اختيار نفس الآيات القرآنية • وقد صح عندى من كل ما تقدم أن هذه الرسائل لبشر كلها وان ابن طيفور وهم وهما كبيرا فى نسبتها لغيره •

وبعد فهذا بحث متواضع أردت فيه ان أعرف للناس ببشر وبما ابتكره من فن طريف فى الكتابه والانشاء ومن الله التوفيق والحمد •

---

(٢٩) صفة جزيرة العرب ٦١ •
(٣٠) اختيار المنظوم والمنثور ٣١٥/١٣ وجمهرة رسائل العرب ٢١٢/٣ •
(٣١) صفة جزيرة العرب ٦٠ •
(٣٢) صفة جزيرة العرب ٦١ •
(٣٣) صفة جزيرة العرب ٥٩ • اقتبس قوله تعالى (ينظرون اليك نظر المغشي عليه من الموت) محمد ٢٠ •
(٣٤) المنظوم والمنثور ٤١٣/١٣ وجمهرة رسائل العرب ٢١٠/٣ •

المصـــادر

١ ـ اختيار المنظوم والمنثور ـ احمد بن ابي طاهر طيفور مخطوط فى دار الكتب المصرية رقم ١٨٦ ، ٥٨١ .

٢ ـ الاغـانى ـ أبو الفرج الاصبهانى ـ بيروت ١٩٦١ .

٣ ـ الانسـاب ـ عبدالكريم السمعانى ـ حيدر آباد ١٩٦٣ .

٤ ـ بهجة الزمن فى تاريخ اليمن ـ تاج الدين اليمانى ـ مصر ١٩٦٥ .

٥ ـ جمهرة رسائل العرب ـ احمد زكى صفوت ـ مصر ١٩٣٧ .

٦ ـ صفة جزيرة العرب ـ الحسن بن احمد الهمدانى ـ مصر ١٩٥٣ .

٧ ـ الفهرست ـ ابن النـديم ـ مصر ١٣٤٨ .

٨ ـ المحاسن والاضداد ـ المنسوب للجاحظ ـ مصر ١٣٢٤ .

٩ ـ مختصر أنباء اليمن ـ محمد بن محمد الصنعانى ـ مصر ـ المطبعـة السـلفية .

١٠ـ معجم الادباء ـ ياقوت الحموى ـ مصر ١٩٣٠ .

١١ـ مفتاح الافكار ـ احمد مفتاح ـ مصر ١٣١٤ .

١٢ـ المقتطف، من تاريخ اليمن ـ عبدالله الجرافي ـ مصر ١٩٥١ .

١٣ـ منتخبات فى أخبار اليمن ـ نشوان بن سعيد الحميري ـ ليدن ١٩١٦ .

١٤ـ المواهب الفتحية ـ حمزة فتح الله ـ مصر ١٩٠٨ .

١٥ـ نهاية الارب فى معرفة أنساب العرب ـ أبو العبـاس القلقشندى ـ مصر ١٩٥٩ .